

أشجار الحجر

للنصفي الأرمني باربريان

إمام الأديب ن ب. تشاريان

على غطاء المائدة ، وبقلب صفحاته باستمرار
وهو يأتي من حين إلى حين نظرة عطف
وحنان على زوجته

وحياة انطلقت منه حركة ازعاج وملل ،
فاغلق الكتاب ؛ وتحرك في جلسته بمد
تهمة أرسلها ، واستوى على الأريكة بكل
جسمه ملتبسا رأسه إلى الخلف

كفاك يا (سربوهي) ما اشتغلت ،
وبالأخص في الليل ؛ فكثرة الشغل تؤدي
عينيك .. فلتتحدث قليلا

فرقت زوجته رأسها دون أن تنصرف
عن شغلها اليدوي ، ونظرت إلى زوجها
بعينها السوداء الواسعتين نظرة عطف
وقالت :

— لا يمنع عمل من أن تتجاذب أطراف
الحديث ، فإن على أن أفرغ من هذه السهرة
قبل ساعة ، لأنهما ولدنا (هوسيبك) .
فقاطمها زوجها قائلا :

— حبيبي (هوسيبك) ! ثم أضاف :
تعرقين يا (سربوهي) أن ولدنا لم يتخط

كانت قطع من الأنسجة المحلاة بالرسم
زين داخل الغرفة بلونها الكستنائي ،
ونكسها نظافة وأمانة . وكانت مائدة
مستديرة تغطيها سجادة خضراء تشغل
وسطا الغرفة ، ومصباح مكال غظلة معدنية
لنعكس النور السافى الذى يوضح الأقسام
الصغرى من الغرفة كزواياها العليا في
ظلمة خفيفة رقيقة

وامرأة في الأربعين من عمرها كانت
حالة قرب المائدة على أريكة تشغلها بجسمها
الممتلئ ، وعلى خياها قمات حاوة ، وبعض
الشعرات البيضاء تبدو بين خصلات شعرها
الكستنائي ، وقد اكتسبت شيئا من
الفتنة تحت نور المصباح ، ملتزمة كالفضة
وكان رجل في الخامسة والأربعين من

عمر ، حالسا قبالتها ، وقد التفت صامدة رأسه
كالمروء ، وعلى قمات وجهه الحادة يبدو
هكم خفيف ، دون أن ينبير هذا الهكم
شيئا من طيب مذاقه ، وقوة عزيمته البادية
عليه . كان يتصفح كتابا منشورا بين يديه

ولكن واسم الصغير (أونيك) كان صبيًا في العاشرة أو الثانية عشرة من عمره ممثلاً بالخيث ومروفا بالحركة والنشاط . في كل مساء بعد عودتنا من المدرسة كنا نلعب ونلهو معاً على المرح الأخضر قرب دارنا مع لائقنا من الأولاد . وكان (أونيك) يبدى ميلاً خاصاً نحوى ؛ فكان يأخذ أوضاع الدافع عني ؛ وهو يمنع الأولاد من اللعب بي وتغريبهم إياي ، بأسطاً حمايته على . أما أنا فبالرغم من ميله الشديد . ومظاهر المحبة الحارة نحوى ، كنت أشعر بميل ضعيف نحوه . عر أن اننى كانت تعذبني وتسبب لى الألم عن تلك العيون البراقة ؛ تلك الأحداق الخبيثة السوداء . وكنت كنت مشتاقة لما نلته لتقبيلها . ولكنى كنت أنهرب منه كما أراد الاقتراب منى . فكأنى كنت أذلل ، أو أريد أن أكون غالية الثمن عليه فى دلالى

سوف تدهش من أن طفلة فى الثامنة من عمرها كانت تستطيع أن يكون لها إحساسات دقيقة مرهفة . حقا إن تلك الإحساسات والشعور لا تكون عن معرفة صحيحة أو إدراك تام ؛ ولكن المبررة كما تظهر سديفة عند الحيوانات تظهر كذلك عند تلك المخلوقات الآدمية الصغيرة كنت بذل جهدى لإرزاى سحرى

بعد السادسة من عمره ، وهو يعامل هذه الفتاة الصغيرة التى تلعب معه بكل احترام وأدب فكأنه يريد أن يغازلها ، أو يحب أن يدخل معها فى دور غرامى . آه من العسية فى هذا العصر !

فقلت : لا تشككم هكذا يا عزيزى . إن الذكور مرودون دائماً بتلك الإحساسات صورة طبيعية . وإن لها علاقة متينة بتكوينهم الجسمى ، فسرعة نمو الجسم ؛ وتبدل الشعور والإحساسات تكون سببا لهذه التصرفات . وكيف كنت أنت فى صمرك ؟ فأجابها الزوج بشئ من السخرية الغامضة : قائلا لست فى الحلق أذكر شيئا من عهد الطفولة

وأنت ؟ هل كان لك حبيب (كهوسبييك) فى صمرك ؟

فانصرفت المرأة لحظة عن شغلها البدوى وأخذت تبحث فى نقطة مجهولة ، وعلى نظراتها تبدو حالة من يئذل جهدا لاسترجاع ذكريات قديمة جداً إلى مساحة ذهنته . ثم قالت : وأجفانها تكاد تنطبق شئ من لذة غامضة ونشوة محاولة :

— نعم كان لي حبيب (كهوسبييك) عندما كنت فى الثالثة من عمري . كان أهله يسكنون على مد عدة دور من دارنا . ولم يكن بين أهاليها اتصال ولا علاقة .

على رأسى وهو يقول : — يا حلوتى ! —
فكنت أرسل صرخة فى الفضاء ، وأقلت
من قبضته هاربة

والأمر الذى ما كان يقبل النكاح هو أن
ذلك الصبي الصغير كان يشقى ويتألم ، ولكن
هو نفسه أيضا كان يحمل سبب شقائه
بدون نكاح

وفى ذات مساء ، بعد أن انصرفوا من
المدرسة ذهبت إلى معلمتنا الممهود ، ولم أجد
هناك إلا (أونيك) وكان الأولاد الآخرون
قد تأخروا عن الحضور ، أردت أن أعود
إلى الدار تاركة (أونيك) وحده ، غير أنه
تقدم إلى وبين يديه قطعة من الورق مبنية
بالخلوى وقدمها إلى ، وكانت عيناه تلتمعان
أكثر من أى وقت مضى ، وهو يراقبني
يشئ من الشوق والرغبة ، كما كنت
ألهم الخلوى واحدة تلو الأخرى غير
شاعرة بتلك اللذة التى كنت أستبهاها .
فكم كنت مشغولة بالتهام الخلوى حتى
أنى لم ألاحظ كيف أن الملعون قد اقترب
منى شيئا فشيئا ، وإذا بشفاة ندية حارة قد
حول عنقى ، وإذا بشفاة ندية حارة قد
التصقت بخدى ، وسبيل من القبلات
أخذ يهرع عليه ، ماذا حدث فى تلك
اللحظة ؟ أردت أن أصبح ، وأصرخ ،
السكنى لم أستطع حتى كدت أن أختنق ،

وجالى (لأونيك) المظفر بنظرات الإعجاب
منه . وعندما كنا نركض على الحشائش
ويطارد بعضنا بعضا كان يلاحقنى فأخا
ذراعيه ، ويقبض على . فكنت أصرخ
بشدة وأصبح سحجات متقطعة رغبة . كان
الصبي السكين يقف متحيرا دهشا دون
أن يفهم سبب سيجائى ولا سبب هربى
منه ومما ملئى له بهذا الشكل ...

وبينا كانت السيدة (سربوهى) غارقة
فى حديثها . كان زوجها يصفى إليها بكل
انتباهه ، وقد وضع مرفقه على طرف
الأريكة وأراح ذقنه على كفه

وكانت المرأة تعمل بنشاط ورغبة
أكثر من ذى قبل متأثرة من استعادة
هذه الذكرى الحلو البعيدة

واستأنفت قائلة : أحيانا عندما أنظر إلى ولدى
(هوسبيك) يخاطر على بالى (أونيك)
السكين ، أواه ! كأنه هو بالذات : بعينه
اليراقطين الخبيشين ، وبحركاته اللبنة بالخفة
والنشاط . حقا إننى الآن أؤنب نفسى على
تلك العاملة ، وقلبي يتألم من تعذبي
(لأونيك) السكين . كان عندما
يحصل على بعض النقود يشتري بها
الخلوى ويقدمها لى لألهمها ، وكان يتأملنى
بلذة وفرح ، وأنا ألهم خلواء . وبعدئذ
كان يمد يده وهو يظن أنه كسبى ليقبض

هذه الذكريات هي أحلى ذكريات طفولتي
كانت عينا سيدة (سروهي) السوداء
النديتان يابونج مشجعتين نحو زوجها
شيء من الحزن البادي على عباها
وفي ذلك الحين تبسّض زوجها من مكانه
وقد أشرقت وجهه بإبتسامة خالصة ، ونقده
نحو زوجته بعد أن أحسّ رأسه أعمى
وهو يريخ الشعر عن فقاء ويقول :
أترين هذه العلامة البيضاء ؟
وبينا كانت الزوجة تحديق العلامة
دهشة : دل زوجها :

لها أثر ذلك الحجر الذي قدقني به
نه باب نظار بار

فأخذت أحرك ساعدي لأفقت من ذلك
الضغط ، ومن تلك القبضة ، وأخيرا تركني
وانطلق يمدو . فالتهب الغيظ في نفسي . ولم
أدر كيف أضع . أخذت حجرا من الأرض
وشرعت في مطاردة حتى اقتربت منه فقدمت
رأسه بالحجر فإذا بصرخة ألوية تنطلق منه ،
وإذا به تبسّض على رأسه بكلمات يديه
والدم يسيل . أما أنا فلم يكن مني إلا أن
أسرعت في الهرب ، ولم تغطأ قدماي ذلك
المكان بعد ذلك أبدا

وبعد مدة قصيرة من الزمن غادرنا تلك
القرية إلى مكان آخر . وحتى الآن لا تزال
بصرخة جيبني (أوبيك) الألفية تدوي في
أذني ! فكلم شتعتني وامنتني يا ترى ! ولكن

آلام قرتر

هي القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف « جوتة » الألماني

، للأستاذ أحمد حسن الزيات

نمطها ٢٥ قرشاً عدا اجرة البريد